مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم الإنسانية
الإصدار السابع
المجلد (٣) العدد (٢)
٢٠٢٢ (٢٥٢-٢٧٦)

مجلة أنساق

Middle East Institution of scientific Publishing

ازدواجية الهوية، الفضاء الثالث وتفكيك المركزية الغربية في رواية ما بعد الكولونيالية: "الفتاة المسلمة" لأم زكية انموذجًا

د. نضيرة بريوة

أ.د. رحمة بنت أحمد

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، ماليزيا

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١١ مايو ٢٠٢٢

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الملخص

تُواجه الأقليات المسلمة في الغرب عدداً من التحديات، مثل الادعاءات الغربية التي تُمارس ضد الإسلام والمسلمين وتنعكس سلبيًا لتُنتج مختلف الصور النمطية والتحيزات العنصرية ضدهم؛ إذ يؤدي ذلك إلى عدم استقرار الهوية وازدواجية الانتماء. وقد ساهمت رواية ما بعد الكولونيالية في نقل هذا الواقع المعاش، خاصة فيما يخص مسألة الهوية، وحضور الذات بكل مكوناتها الدينية والاجتماعية والثقافية مقابل الآخر المختلف. وعليه؛ تهتم هذه المقالة بدراسة أزمة الهوية الإسلامية في المجتمع الأمريكي في "الفتاة المسلمة" (2014) للكاتبة أم زكية من الولايات المتحدة الأمريكية، وترتكز على ثلاثة مفاهيم رئيسة في دراسات ما بعد الكولونيالية؛ هي: الهوية، والفضاء الثالث، وتفكيك المركزية، حيث تهدف الدراسة إلى اكتشاف التحديات التي تواجه الهوية في الرواية المختارة، وتحلل صور تأزم الهوية الدينية و نكشف عن دور الرحلة والأحكام المسبقة والتحيز الديني في ازدواجية الهوية و تمزقها، كما نبيّن كيفية تأثير سياسة التهميش على الشخصية الرئيسية، مما يؤدي بها إلى التفاوض على هويتها الدينية وإثبات وجودها في الفضاء الثالث مفككة بذلك وهم مركزية المسيحي الغربي. وقد وظّفنا المنهج الكيفي غير التجريبي معتمدين على طريقة التحليل الوصفي النظري باستخدام النص الأدبي، مع مصادر ثانوية نقدية، وبعد التحليل والمناقشة؛ خلص البحث إلى عدة صور تتبث ازدواجية هوية البطلة وعيشها في الفضاء الثالث بعد الانتقال من الشرق إلى

الغرب متأثرة بعوامل كالعنصرية الدينية، والشعور بالاغتراب من المكان، والانبهار بثقافة الآخر، والشعور بالدونية مما يدفع بالبطلة إلى المقاومة والتماهي مع الأنا الغربية المسيحية المهيمنة لأجل تحقيق أهداف التعايش والنجاح.

الكلمات المفتاحية: ازدواجية الهوية، العنصرية الدينية، الفضاء الثالث، تفكيك المركزية

Abstract

Muslims living in the West face numerous challenges, including the western assumptions, different types of stereotypes and communal prejudices that influence Muslims' lives. Consequently, Muslims in the West live in between two spaces/third space, constantly negotiating their identities. The post-colonial narrative has contributed to the transfer of this living reality, especially with regards to the issue of identity and the presence of "self" as opposed to the "other". Thus, this paper pivots on examining the crisis of Islamic identity in *Muslim Girl* (2014) by Umm Zakiyyah from the USA, exploring the postcolonial key concepts of identity, third space and de- Eurocentrism. The purpose of this paper is to explore the challenges that the main character, Inaya Donald faces as a Muslim in a Christian school. Thus, this paper attempts to explicate how diaspora, religious discrimination and imitating the "other" influence her, exploring the reasons and how she negotiates her identity. To do so, this qualitative and non-empirical research has conducted in a descriptive-theoretical analysis, using the selected novel as a primary source and library and online critical materials, such as books and journal articles, as secondary references. The analysis shows that Umm Zakiyyah emphasizes that religious identity in diaspora can be unstable due to the cultural displacement of characters, living between two religions, the displacement, a sense of alienation, racial and religious prejudgments and a sense of nostalgia. These reasons have contributed to resulting hybridity and identity negotiating. However, this hybrid identity enabled Inaya to move from the margin to the center; which means that living in the third space is a sign of strength and resistance rather than weakness.

Keywords: Hybrid Identity, religious discrimination, third space, deconstructing Eurocentrism

*** مقدمة**

حاول الغرب بسط هيمنته الثقافية خلال وبعد استقلال معظم دول العالم الثالث وزرع فكرة السامية والمركزية الثقافية الغربية عبر العالم. وجاءت الخطابات الكولونيالية بأشكالها المختلفة لبسط النفوذ الامبريالي وتحقيق الغزو الثقافي. ساهمت الإمبريالية الثقافية في تشتيت ثقافة المسلم وانشقاق الهوية بسبب الهيمنة والاستبداد، وخلق الشبهات حول الدين الإسلامي، وخلق مجموعة من الادعاءات الغربية التي تُمارس ضد المسلمين المتمثلة في مختلف صور النمطية والتحيزات العنصرية ضدهم لاسيما عبر وسائل الميديا، مما خلق الإسلاموفوبيا والعداء تجاه الإسلام والمسلمين، خاصة المقيمين في الغرب. كنتيجة للإسلاموفوبيا، تولد الشعور بالانقسام والازدواجية وشعور الاغتراب نتيجة التمييز العنصري في المسلمين عامة والأقليات المسلمة في الغرب بصفة خاصة.

ولقد شدد المفكر والكاتب ادوارد سعيد على أهمية مناهضة الإمبريالية الثقافية الغربية وإعادة النظر في ثقافات وتاريخ الدول المستعمرة. ويعتبر كتاب "الاستشراق" الذي نشره عام 1978 البنية الأساسية لنشأة ما يعرف ب: ما بعد الكولونيالية والنظرية المناهضة للنظريات والايديولوجيات الاستعمارية. حيث يرى إدوارد سعيد أن فكرة ثنائية الشرق والغرب، والأنا والآخر، والغني والفقير، والمتقدم والمتخلف، والمسيطر والتابع ليست سوى تقسيمات وهمية لطمس ثقافات وتاريخ شعوب العالم الإسلامي خاصة والعالم الثالث عامة. وكتب إوارد: "تحيُّز خفي ومستمر محوره تفوق الحضارة الأوروبية ضد الشعوب العربية الإسلامية وثقافتها"، تُشتق تلك النظرة من التصورات الغربية عما يمثله الشرق (التصوير الثقافي)، واختزال الشرق إلى جوهر خيالي «للشعوب الشرقية» و«أماكن الشرق»، تهيمن تلك التصورات الثقافية على خطاب الشعوب الغربية مع الشعوب غير الغربية أو عنهم.[1]

وهذا ما يراه كذلك الدكتور عبد الله إبراهيم في كتابه "المطابقة والاختلاف: المركزية الغربية" إذ يوضح المؤلف أن هذه الانقسامات أسهمت أكثر في تعميق صورة التمركز الغربي القائم على أساس التفاوت بين الغرب الأسمى والأرفع عقلياً وثقافياً ودينياً وعرقياً والعالم الآخر الأدنى والأحطّ في كل ذلك".[2] كما اتفق بوبي سيد أيضا بكتاباته التي تنتقد الخطاب الاستعماري فيما يتعلق بالإسلام. على سبيل المثال، في "الخوف الأصولي: المركزية الأوروبية وظهور الإسلامية"، يحدد سيد (1997) التحديات التي يواجهها المسلمون في الحفاظ على هويتهم الإسلامية، وخاصة تحدي المركزية الأوروبية والامبريالية. يستخدم بوبي سيد نظرية المركزية الأوروبية لانتقاد المستشرقين فيما يتعلق بمعاداة الإسلام

[1]سعيد ادوارد، الاستشراق، ترجمة محمد عناني، (القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2002 م)، ص17.

[2]ابراهيم عبد الله، المطابقة والاختلاف: المركزية الغربية، ط 1،) الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1997 م)، ص 147.

كمشروع للهيمنة. كما يدعو بوبي إلى أهمية تفعيل الإسلام و أسلمة الدراسات و الخطابات لأجل تفكيك المركزية الغربية من منظور إسلامي، وفي هذا السياق، كتب سيد (1997) أن "ظهور الإسلامية يمثل تآكل المركزية الأوروبية".[3] و لمقاومة هذه التحديات و انهاء الإمبريالية الثقافية و المركزية الغربية لابد من الحفاظ على الهوية الإسلامية و ثقافات الشعوب المضطهدة من خلال إحياء تاريخهم و ثقافاتهم ومعتقداتهم لأجل تفكيك وهم المركزية لأن "المركزية الأوروبية هي مشروع لتوريط الآخر، وهو مشروع لا يمكن تحقيقه إلا باعتبار الغرب والمركز متضادين"[4]

استعمل الغرب مختلف الوسائل على رأسها وسائل الميديا، وانتهج مختلف الأساليب كالخطاب والكتابات لخلق ما يعرف الإسلاموفوبيا، وتعميق الادعاءات الغربية التي تُمارس ضد الإسلام والمسلمين مثل التحيزات العنصرية القائمة على الاختلافات وخاصة الدينية في الغرب. وكان للرواية الاستعمارية دورًا كبيراً في تمثيل وتصوير المسلمين في صور نمطية مثل التخلف، والشراسة، والعنف، والإرهاب... إلخ. وكرد فعل، ظهرت كتابات ما بعد الكولونيالية لأجل تفكيك الخطاب الاستعماري وتمثيل الإسلام والمسلمين من منظور وزوايا الحقيقة دون تزييف وملابسات. ولا شك أن رواية ما بعد الكولونيالية أخذت الدور الأكبر في رصد الأفكار الإمبريالية والعلاقة بين المعرفة الاستشراقية والسلطة والهيمنة. حيث مثلت الرواية الادعاءات الاستشراقية، والتحديات التي أدت إلى تأزم الهوية الإسلامية عبر التاريخ، وتمركزت حول مخلفات الاستعمار وآثاره على ثقافات الشعوب من جهة، وسعت إلى تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة بناء الأفكار التي تبرز جوهر الانتماء وثقافات الشعوب المستعمرة خلال التاريخ من جهة أخرى. كما انتقدت الرواية الخطاب الاستعماري بإظهار أوهام الثنائية، ودعت في المقابل إلى الاختلاف، ورصد العلاقات بين الأنا والآخر التي تبنى على الاحترام والغيرية بدل سياسة التمييز والتفضيل. "على وفق هذه الرؤية، يؤسس التفكيك موقفه اتجاه الخطاب، هادفاً إلى تحرير عمل المخيلة من ناحية، وافتضاض آفاق جديدة للعملية الإبداعية من ناحية أخرى. إنها سلطة من نوع خاص، كونها تولي القراءة النقدية كثيرًا من اهتماماتها".[5] فبرز سعي الكتاب المسلمين إلى نقد المركزية الغربية، والإمبريالية الثقافية، والكشف عن النمطية العنصرية والعدائية الغربية، ومقاومة الآخر لإثبات وجوده والمحافظة على اختلافاتهم الثقافية. جاء سرد ما بعد الكولونيالية لتفكيك السرد الكولونيالي الذي كان متمركزا حول المعرفة التي تبني لمركزية وأولوية الشخصيات الأوروبية الغير مسلمة، حيث تغيرت زوايا

[3]سيد يوبي، الإسلاموفوبيا: المركزية الأوروبية وظهور الإسلامية، (نيويورك، دار زاد للنشر، 1979م، ص 151.

[4]المرجع السابق، ص 158.

[5]ابراهيم، المطابقة والاختلاف، ص 158.

مواضيع السرديّة، وذلك من خلال روايات كُتّاب شعوب العالم الثالث عامة والعالم الإسلامي خاصة، التي تسترجع التاريخ الجوهري الأصلي، وتسترجع الذاتية مكوناتها الثقافية والدينية والاجتماعية والحضارية. كما مثلت هذه الروايات خاصة وكتابات ما بعد الكولونيالية بصفة عامة مقاومة الشخصيات المسلمة للتحديات والادعاءات التي يصورها الخطاب الاستعماري عن الآخر المسلم، ويفكك مركزية الدول الأوروبية، ويستمد الهوية، ويخدم المصالح الخاصة والأهداف العامة للشعوب. و يشير الباحث محمد بوعزة إلى أهمية هذه "الإزاحة السرديّة التي تتمثل في كون هذه الأعمال الروائية ما بعد الكولونيالية شكّلت سرديات بديلة من الروايات الأوروبية الكولونيالية، تولّد عنها نسق جديد في تمثيل البلدان المستعمرَة، على أنها شعوب تتمتع بثقافات وتواريخ و تجارب جديرة بالاحترام".[6] و قد شكلت الهوية و الانتماء الوطني والثقافي في رواية ما بعد الكولونيالية المواضيع الأساسية، أين يقاوم أبطال الروايات والقصص التحديات الغربية و يحاولون الحفاظ على جوهر الهوية الأصلية بالإضافة إلى كسب سمات الهوية الغربية بانتمائهم إلى الدول الغربية، ومقاومة العنصرية من خلال اقتحام المركز وتقليد ومحاكاة الأنا الغربية.

نقلت رواية ما بعد الكولونيالية مخلّفات الإسلاموفوبيا في البلاد الغربية، وعبرت بالدرجة الأولى عن الأضرار النفسية خاصة لدى الأقليات المسلمة المقيمة في الغرب، وانشقاق الهوية الدينية والثقافية وأزمة الانتماء نتيجة العلاقة بين الأنا الغربية السامية والآخر المسلم المهمش، حيث أدت الشخصيات الأساسية أدواراً مختلفة باختلاف درجة المقاومة والسعي للحفاظ على الاختلاف. فنجد بعض الشخصيات قد انصهرت تماما في الثقافة الغربية وطُمست هويتها، في حين برز الدور الأكبر للشخصيات التي تصدّت للانا الغربية، وإثبات وجود الأنا المختلفة من خلال التفاوض على الهوية والانتقال من الهامش والدور الصامت إلى المركز والدور الفعال في المجتمع الغربي.

*** الإطار المنهجي**

*** مشكلة البحث**

فكرة الرحلة أو الانتقال من الشرق إلى الغرب سواء برحلة واقعية أو رحلة عبر الذاكرة أنتج تداخلا بين سمات وثقافات المكانين لاختلافهما. وقد شكّل هذا الاختلاف على خلق علاقة جديدة بين الأنا والآخر وتمثّلت هذه العلاقة في الأعمال الروائية الغربية المعاصرة من طرف الكتاب المسلمين، سواء المولودين هناك أو المهاجرين وكانت بؤر اهتمام العديد من النقاد والباحثين

[6] محمد بوعزة، "تشكّل الهوية في ظل المواجهة الكولونيالية"، مجلة تبيّن، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد 7، المجلد 26، سبتمبر 2018)، ص 7-33.

المعاصرين. حيث ركزت أكثر مواضيع البحث في الكشف عن التحديات التي تواجه هوية المسلم المقيم في الغرب، ومكونات انتماءاتهم الدينية والوطنية والاجتماعية، وكذا خصوصية الذات واختلافها الثقافي، إضافة إلى دراسة وتحليل علاقة الذات بالآخر وأبعادها المختلفة، التي من شأنها خلق أزمة الانتماء وأزمة الهوية نتيجة التأثير والتأثر أو ما يعرف بالمثاقفة من ناحية، وإبراز أوجه الصراع القائم بينهما نتيجة الثنائية القائمة بين الأنا الغربية المسيطرة والآخر المسلم التابع من ناحية أخرى. لكن ما غاب عن معظم الدراسات هو تأثير التحديات على الهوية الدينية ومآلاتها المتمثلة في التفاوض والعيش في الفضاء الثالث. تتضح هذه الفجوة أكثر بعد الاطلاع على الدراسات السابقة.

فيما يخص الدراسات السابقة، توالت الدراسات النقدية الأدبية والتحليل الروائي بقوة في الوقت المعاصر، لاسيما دراسة وتحليل الهوية التي كانت محور الأبحاث، واستقطبت اهتمام العديد من الباحثين والدارسين في الحقل الأدبي والنقد. ركزت بعض الأبحاث في السنوات الأخيرة على تشظي الهوية وتبعثر ذات الأنثى بين الهامش والمركز في الروايات النسائية. على سبيل المثال، درست سميرة حدادي في مقالها المعنون "تجاذبات الهوية النسوية بين المركز والهامش: التحليل الثقافي لروايتي (تاء الخجل) و(اكتشاف الشهوة) لفضيلة الفاروق انموذجا"، حيث ركزت على الهوية الثقافية والاجتماعية من منظور ذكوري ومجتمعي، ورصدت صورة المرأة في المجتمع و الثقافة العربية، وحللت الصور والتداعيات التي أثرت على هوية المرأة مما دفع بذاتها للانشطار و التشظي و البعثرة و حتى الضياع والتلاشي، وتشير الباحثة إلى الاغتراب الذاتي الذي يدفع بالمرأة للبحث عن "منطقة وسطى عليها تخفف من وطأة التوتر والصراع المعتم داخلها".[7] ما تسميه الباحثة المنطقة الوسطى يمكن الإشارة إليه بالفضاء الثالث. كذلك تركز الباحثة على الهوية الثقافية والاجتماعية من منظور ذكوري أين أثر تهميش المرأة في المجتمع العربي على انشطار ذاتها. ندرس في هذا البحث الذي بين أيدينا التحديات التي تواجه هوية الآخر المهمش، لكن يبحث في الهوية الإسلامية والتداعيات التي تؤدي إلى ازدواجيتها وانشطارها في المجتمع الأمريكي من منظور اختلاف الديانات، كما يبين صور ازدواجية الهوية بدل التركيز فقط على العوامل.

كذلك ناقشت غادة جمال مكي في مقالتها تحت عنوان: "أزمة الهوية في رواية أصفاد من ورق ليوسف هداي ميس" الهوية الضائعة، وأرجعت الأسباب للرحلة، حيث انتقلت الشخصيات من العراق إلى الكويت فعاشوا بين هويتين متأثرين بتداخل الثقافتين، مما أنتج لهم تأزمًا وصراعًا في الذات التي تأرجحت بين

[7] حدادي سميرة، "تجاذبات الهوية النسوية بين المركز والهامش: التحليل الثقافي لروايتي (تاء الخجل) و(اكتشاف الشهوة) لفضيلة الفاروق انموذجا"، مجلة إشكالات في اللغة العربية، (المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، عدد 3، سبتمبر 2020)، ص 9.

الهويتين العراقية والكويتية. ركزت الكاتبة في تحليل واستخلاص أثر الرحلة والمثاقفة والتنقل على تأزم الهوية، وتوصلت الكاتبة في بحثها فقط إلى أن "الصراع بين هوية مركزية تستبيح بما تملك هوية مهمشة أو هامشية".[8] وهذا ما يبحثه المقال الذي بين أيدينا، تأزم الهوية بسبب الرحلة والشتات، إلا أن نص الرواية المختارة لهذه الدراسة تصب في دراسة التداعيات التي تؤدي إلى انشقاق هوية البطلة وانشطار ذاتها دينيا بعد الانتقال من السعودية المسلمة إلى أمريكا المسيحية.

وقد ناقش البعض روايات أم زكية من نقطة الهوية الدينية بصفة عامة. على سبيل المثال، وفقا لميسي فيليب، التي تحلل رواية "الفتاة المسلمة" بالتركيز على إنايا، البطلة الرئيسية في الحفاظ على سمات الإسلام في مواقفها وسلوكها، وتقصد الفرائض التي تعد الأركان الأساسية للإسلام، كما تذكر فيليب وجود تمييز ضد الشخصيات المسلمة في المدرسة المسيحية العامة لأن مديرتها تفرض أن تكون الحاصلة على جائزة أفضل طالبة مسيحية الديانة. إلا أن الباحثة أهملت جانب الآثار السلبية لتلك التحديات على الهوية الدينية للبطلة مما أدى بها للعيش في الفضاء الثالث تفاوضًا لمقاومة العنصرية الدينية التي تعرضت لها في المدرسة المسيحية لتنتقل من الهامش الصامت إلى المركز الأول، وهذا الموضوع الرئيسي للمقالة التي بين أيدينا. كذلك بحثت بصفة عامة نضيرة بريوة في رسالة الدكتوراه المعنونة ب: "تمثيل المسلمين في الغرب: الغيرية، الشتات والهوية في روايات معاصرة مختارة للكاتبات المسلمات المهاجرات"، حيث ناقشت رواية "الفتاة المسلمة" مركزة على التحديات والصور النمطية والعنصرية التي واجهت بطلة القصة، فانتهت في أزمة، حيث عايشت تناقضات، وعاشت شعور الاغتراب بسبب الرحلة. تكتب الباحثة في هذا الصدد: " أثر التهجير من المملكة العربية السعودية، حيث أمضت البطلة طفولتها، إلى أمريكا على هويتها، مما جعلها تشعر بالغربة في ولاية ماريلاند، وخاصة في المدرسة العامة. عانت البطلة من الاغتراب بسبب الهواجس العرقية والدينية وبسبب الشعور بالحنين إلى الرياض والمملكة العربية السعودية وأصدقائها السعوديين ومدرستها القرآنية هناك".[9]

انطلاقا من هذه المقدمة، والدراسات السابقة، والفجوات أو النقاط المهملة في الدراسات السابقة، تهتم هذه المقالة بدراسة وتحليل وضعية حضور الذات المسلمة

[8]غادة جمال مكي، "أزمة الهوية في رواية أصفاد من ورق ليوسف هداي ميس"، مجلة كلية التربية للبنات، (الجامعة العراقية، العراق، العدد 3، المجلد 93، 2018)، ص 2618.

[9]نضيرة بريوة، "تمثيل المسلمين في الغرب: الغيرية، الشتات والهوية في روايات معاصرة مختارة للكاتبات المسلمات المهاجرات" (رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 2020)، ص 244.

في المجتمع الأمريكي التي تطغى عليه الديانة المسيحية ممثلاً في شخصية البطلة الرئيسية في الرواية وتحديداً منها رواية "الفتاة المسلمة" للكاتبة الأمريكية المنحدرة من أصول إفريقية أم زكية. ولحل مشكلة البحث وضعنا سؤالا أساسيا تحاول هذه المقالة الإجابة عنه: –

ما هي التحديات التي تواجه البطلة، بكونها شخصية مسلمة في المجتمع الأمريكي المسيحي، وها هي صور الفضاء الثالث إثر تلك التحديات وأثرها على الهوية الدينية؟

*** أهمية البحث**

١– اكتشاف التحديات التي تواجه الهوية في الرواية المختارة وعلاقتها بازدواجية الهوية من خلال تبيين وتحليل أثر التحدي على تأزم وازدواجية الهوية.

٢– الكشف عن مظاهر تشظي الهوية الدينية لدى بطلة الرواية وصور التفاوض من خلال اقتحام الفضاء الثالث وإثبات وجودها.

٣– إبراز الجانب الإيجابي للفضاء الثالث ودوره في تمكين البطلة من تحقيق الأفضلية وتفكيك وهم مركزية المسيحي الغربي.

للجواب على السؤال المطروح وتحقيق الأهمية تهدف هذه المقالة إلى: الكشف عن مسببات عدم استقرار الهوية وازدواجية انتماء الأنا المسلمية في المجتمع الغربي، وتبين صور التفاوض على الهوية في الفضاء الثالث وأثره في كسر مركزية الأنا المسيحي.

*** حدود البحث**

المكانية: السعودية وأمريكا

الزمانية:2014

ما يميز هذه الدراسة عن غيرها كونها الأولى في تحليل ودراسة هذه رواية "الفتاة المسلمة" وتسليط الضوء على الكاتبة أم زكية من أمريكا لإبراز الكتابات النسائية المنسية والمهمشة في الأدب الأمريكي، وما تجسده من تمثيلات عن الهيمنة الإمبريالية، انتقاد الخطاب الاستعماري، وابراز دورهن في تمثيل وهم المثل الأوروبية المركزية والدفاع عن الهوية الإسلامية لأجل احترام الاختلاف، فضلا عن تشكيل بديل للأفكار العلمانية للمرأة الغربية التي تستبعد الدين من الحياة اليومية. كذلك يتميز هذا البحث بتسليط الضوء على موضوع شرقي غربي باللغة العربية، فمعظم المقالات المكتوبة بالعربية تعالج مواضيع الروايات العربية، لكن في زماننا المعاصر نحن بحاجة ماسة لتنويع مواضيع ولغات وحدود البحث المكاني والزماني، لاسيما الرواية التي تكتب من طرف الكتاب المسلمين المقيمين في الغرب. نحتاج معرفة مخلّفات الإسلاموفوبيا في البلاد الغربية وما تخلفه من أضرار نفسية، وخاصة لدى الأقليات المسلمة المقيمة في الغرب، والشباب المسلم على وجه الخصوص في ظل تزايد البعثات الطلابية للخارج. اهتمت العديد من البحوث حول دراسة وتحليل انشقاق الهوية الدينية والثقافية وأزمة الانتماء نتيجة العلاقة بين الشرقي والغربي، واتجهت معظم الدراسات إلى استخلاص الجانب السلبي الذي يكمن في انصهار الهوية وشتاتها. لكن يتركز هدف هذه المقالة على تحليل موضوع الهوية من زاوية أخرى، حيث يرصد أهمية الفضاء الثالث في إبراز مقاومة الشخصيات الأساسية في الرواية والسعي

للحفاظ على الاختلاف، ونحسب أن التفاوض على الهوية ومحاكاة الثقافة الغربية لا يأتي دائما بالانصهار التام للهوية وضياعها، لكن يحقق، من جهة أخرى، أهدافا تسعى الشخصيات لخلقها كإثبات الذات، وإظهار الاختلافات والثقافات المتضادة للانتقال من الهامش إلى المركز. لذلك تعتبر هذه الدراسة مميزة ومهمة للشباب المسلم خاصة والمسلمين المقيمين في الغرب عامة لإدراك أهمية اختلاف الأنا عن الآخر، وإدراك العلاقة التي تُبنى على الاندماج دون الانصهار.

*** منهجية البحث**

لقد وظَّفنا المنهج الكيفي غير التجريبي، حيث ينهج هذا البحث منهجًا تحليليًا؛ معتمدين على طريقة التحليل الوصفي النظري باستخدام النص الأدبي الروائي المختار، مع مصادر ثانوية نقدية. يظهر التحليل الوصفي تداعيات الرحلة والتهميش واختلاف العقائد في تدبدب الهوية الإسلامية لدى الشباب المقيم في المجتمع الأمريكي، ومن ثم محاولة تحليل ووصف صور وتمثلات الفضاء الثالث لإبراز مقاومة هذه التحديات ومواجهة المركزية الغربية المسيحية من طرف بطلة الرواية لإثبات ذاتها وتفكيك المركزية في مواجهة أثر تلك التحديات على الهوية.

*** الإطار النظري**

توسع أدب ما بعد الكولونيالية كجزئية تنطوي تحت نظرية ما بعد الاستعمار، حيث انتشرت الكتابة الأدبية في المجتمعات المستعمَرة حول مواضيع مختلفة مثل العنصرية والقومية، وروي الكتاب تراثهم التاريخي والثقافي والتقليدي لإحياء هويتهم الوطنية لمحو آثار الاستعمار. بالإضافة إلى ذلك، تجسد كتاباتهم رد فعل على تمثيل الهيمنة الإمبريالية، وتنتقد الخطاب الاستعماري فيما يتعلق بالعالم الثالث باستخدام قوة التملك والتبعية في خطاب ما بعد الاستعمار. وفيما يتعلق بالقومية والعنصرية، يصف "قلب الظلام" لجوزيف كونراد (1899) أفريقيا بأنها مكان الظلام والتخلف الذي يعيش فيه "المتوحشون" غير المتحضرين، ورد شينوا أشيبي على تصوير جوزيف كونراد غير المتوازن لأفريقيا من خلال روايته "الأشياء تتلاشى" (1958). انقسمت هذه الرواية إلى ثلاثة أجزاء – ما قبل الاستعمار وخلال الاستعمار ومابعد الاستعمار – لإظهار التراث التقليدي لمجتمع الإيغبو على التوالي، وتأثير التأثيرات الغربية عليه، وصدام الثقافات الأفريقية الغربية والتقليدية خلال وبعد الحقبة الاستعمارية. فكانت هذه الرواية المنطلق الأساسي لتشكيل أدب ما بعد الاستعمار، ثم توالت العديد من الروايات المماثلة ذات الخطاب المناهض للاستعمار والإمبريالية الثقافية الغربية.

و قد ساهم أدب ما بعد الاستعمار في رفع صوت النساء و بروز القلم الروائي النسائي بقوة معبراً عن الحقوق، ومقاومة العنصرية والهامشية، وإعطاء صوتا للإناث (النسوية السوداء والحركة النسائية الإسلامية)، ولمقاومة سلطة الذكور التي تم تعريفها في الثقافات التقليدية، أو لتصحيح تحريف صورة نساء العالم الثالث من قبل النساء الغربيات، ومعارضة التيار النسوي الغربي السائد الذي يستند إلى المثل الأوروبية المركزية كتشويه صورة الحجاب، والدفاع عن الهوية الإسلامية لأجل احترام الاختلاف، فضلا عن تشكيل بديل للأفكار

العلمانية للمرأة الغربية التي تستبعد الدين من الحياة اليومية. وفي هذا السياق، ذكرت لوسيندا نيونس ودومينيك ديفيز أن "الحركة النسوية بعد الاستعمار تساعد على تحديد وتصحيح النقاط العمياء في النظرية النسوية الغربية".[10] وأبرز الروائيات المعاصرات المسلمات أم زكية من أمريكا التي تجسد النظرة الغربية للمسلم وتصوراته النمطية من جهة، ومكونات الهوية الإسلامية والتحديات التي تواجهها من جهة أخرى.

تعد الهوية مسألة معقدة ومركبة، إذ أن للهوية نفسها مكونات فرعية تساهم في تكوينها وبنائها كالفرد، والجماعة، والمكان، والتاريخ/الزمان، واللغة، والثقافة، والدين، والعادات والتقاليد... إلخ. لبناء الهوية وتشكيلها لابد من اعتبار العناصر والمكونات الفرعية وترتيبها، وإعادة بنائها طبقا للعلاقات والجماعات والمحيط. وتتأثر الهوية بهذه العوامل والعناصر التي تشكلها فنجدها تتذبذب بين الثابت النسبي والمتغير، فكل عنصر من عناصر تكوين الهوية يؤثر على مدى نسبية ثباتها أو تغيرها. المتغير من هوية عادة ما يكون الثانوي الذي لا يسبب انصهار الذات وذوبانها كالعادات والتقاليد وبعض السلوكيات التي تتأثر بالزمان والمكان، في حين توجد ثوابت لا يجب تغييرها مع مرور الوقت كالمعتقدات الدينية الثابتة. لذلك كان على الشعوب، وخاصة التي تعرضت للاستعمار والحروب أن تقاوم لاسترجاع هويتها الوطنية والمحافظة على هويتها الثقافية والتاريخية والاجتماعية وغيرها من العناصر الأساسية والفرعية التي تميزها عن بقية الشعوب. وساهمت دراسات ما بعد الكولونيالية ومختلف النظريات والأيديولوجيات في توعية الشعوب عامة والمسلمين على وجه الخصوص في إعادة بناء الهوية واسترجاع ثقافتها، حتى تحافظ على الثابت من الهوية لضمان استمرارها، لأن ضياع الهوية هو ضياع للشعوب والأمم مما قد يعرضها للانكماش والانصهار والتبعية للأقوى، وخاصة في خضم هذا العصر الذي تسوده العولمة، والغزو الثقافي والإمبريالية الثقافية الغربية.

اتخذت الهوية مكانةً كبيرةً وموسعةً في نظرية ما بعد الكولونيالية والخطابات الأدبية المعاصرة، حيث مثلث خط الدفاع الأساسي عن الذات واختلافاتها لمقاومة الآخر المختلف. فقد اتبع الاستعمار عدة طرق وأساليب لطمس هوية الشعوب المستعمرة خاصة فيما يتعلق بالدين واللغة والثقافة. نتيجة لذلك شهدت مرحلة ما بعد الاستعمار نقدا كبيرًا حول الخطاب الكولونيالي في استبعاد هوية الآخر، ودفاعًا عميقًا لأجل إثبات الهوية الإسلامية وعدم ضياعها في تقليد أعمى للغرب لا يتماشى وجوهر الذاتية المسلمة.

نظريا، تم التعامل مع الهوية في المقام الأول، إذ تعتبر الهوية كما يصفها غول دوكيتش، "الطريقة التي

[10] لونيونس سيندا، دومينيك ديفيز، "ما بعد الكولونيالية و /أو النسوية "، مجلة كتابات ما بعد الكولونيالية، (العدد 15، 2015)، ص 1-30.

ينظر بها مجتمع معين إلى نفسه ويقدمها للغرباء".[11] وتعتبر الهوية "إحساسا" و"موقفا" و"قرارا" وهي مبنية ذاتيا على معتقدات وتاريخ الفرد.[12] وفقا لما جاء في عدة دراسات وتعريفات للهوية، فهي مصطلح غامض وزلق وهو التعريف الذاتي الذي يميز الواحد منا أو الجماعة من الآخرين، كما أنها تتأثر بعدة عوامل خارجية، فتصبح أكثر أو أقل استقرارًا وثباتًا مع مرور الوقت. ومع ذلك، فإن الهوية تُشكل على الصعيد الفردي كما تتشكل داخل الجماعات، وتنطوي أيضا على العلاقة مع الأفراد أو المجتمعات. إن وضع تعريف للهوية ينطوي على ردود صريحة أو ضمنية من الأفراد على السؤال التالي: "من أنت؟"، قد يبدو السؤال بسيطًا وسهلاً، ولكنه في الواقع يخفي قدرًا كبيرًا من التعقيد.[13]

الهوية كمفهوم ما بعد الاستعمار تشير إلى الطريقة التي يعرف بها الفرد أو الجماعة داخل المجتمع نفسه. وفي هذه الحالة، تمثل المجموعة تعريفا ذاتيا يتعلق بثقافتها واعتقادها وتقاليدها. الهوية منعكس لمفهوم الذات والانتماءات المختلفة اجتماعيا وثقافيا وسياسيا ودينيا. وغالبا ما ينطوي على كل من الجوهرية والذاتية وغيرها. فعلى سبيل المثال، يشير ستيوارت هول أن الناس يمارسون هويتهم الثقافية التي تتعلق بوطن أجدادهم لأنها توفر لهم،كشعب واحد، أطرا مرجعية معينة مستقرة وغير متغيرة، تحت الانقسامات المتغيرة وتقلبات تاريخنا الفعلي.[14] ومع ذلك، تتأثر الهوية بعوامل خارجية كتداعيات المكان وثقافته المختلفة مما يسبب في مرونتها و عدم استقرارها على الثبات كالشتات أو الرحلة والعيش في مجتمعات غربية مختلفة وما يترتب عنها من تقليد نتيجة الانبهار، أو محاكاة نتيجة الصور النمطية، فعلى سبيل المثال، يغير الشتات مفاهيم الهوية ويثير السؤال عما إذا كان ينبغي على الأشخاص المشتتين الحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية وعادات وتقاليد أوطانهم ، أو أنهم يمارسون ثقافة الأرض الأخرى فقط. كالشباب المسلم الذي عاش في بلاد مسلمة مختلفة ثقافيًا، ثم يجد نفسه في بلد كأمريكا المختلف دينياً وثقافياً. يجد الشباب أنفسهم بين ثقافة المجتمع الأمريكي المسيحي المنفتح من جهة، وبين ثقافة وعادات الأهل من جهة أخرى. كما أشار يامن نوح أنه "يجد هؤلاء الشبان أنفسهم أمام سؤال ملح للهوية، فيكون عليهم إما أن

[11]دوكيتش، إعادة تعريف الهوية الثقافية: جنوب شرق أوروبا، (كرواتيا، مركز العلاقات الدولية، 2001 م)، ص 5.

[12]المرجع السابق، ص 9.

[13]سيث ج. شوارتز كوين، لوككفيان ل. فيغنوليس ، دليل نظرية الهوية والبحث، (نيويورك، سبرينغر للعلوم والإعلام، 2011) ، ص 2.

[14]ستيوارت هول، "الهوية الثقافية والشتات"، مجلة التأطير، (العدد 36، 1990)، ص 222-237.

يختاروا الهوية الدينية مقترنة بالثقافة المحلية الإثنية لعائلاتهم التي توضع في العادة في مقابل الهوية الأمريكية التي يدفعهم المجتمع بشكل طبيعي للاندماج فيها، فيكون عليهم أن يختاروا إما أمريكا أو الإسلام".[15]

الهوية الهجينة ambivalent identity، أو ما يعرف بازدواجية الهوية يجيب على هذا السؤال، بحيث يضطر المسلم المغترب مثلا أو حتى المنتمي للأقليات العربية المسلمة في الغرب للتفاوض على هويته، ويعيش ما بين فضائيين وهذا ما يعرف بالفضاء الثالث كما سماه هومي بابا في كتابه "موقع الثقافة" (1994). في الفضاء الثالث، يحاول المسلم محاكاة وتقليد الغرب لأجل الانتماء إلى المكان وضمان البقاء والعيش بسلام، وفي نفس الوقت، يقاوم للحفاظ على بعض سمات هويته الجوهرية التي لا تقبل التفاوض كالدينية والعقائدية، فتحدث المجانسة بين هويته الأصلية وهوية الغرب وهذا ما يعرف بالمثاقفة، حيث تتداخل الثقافات والسمات فتشكل هوية هجينة مزدوجة. ويرى هومي بابا أن العيش في الفضاء الثالث ونتاج الهوية الهجينة والمثاقفة لا يعتبر انصهاراً تاماً، ولكن يعدّ مقاومة ومحاولة من الآخر المهمش تفكيك وهم مركزية الأنا الغربية السامية من خلال اقتحام ذلك المركز، ومحاكاة الذات الغربية وتقليدها.[16]

ويمكن أن ينتج "الفضاء الثالث" شعوراً بالتناقض، وهو ما يصف التجانس والتداخل المعقد من الجاذبية والنفور الذين يميزان العلاقة بين الأنا والآخر. ولذلك، فإنّ التناقض جانب غير مرحب به من الأنا الغربية السامية، والمشكلة تكمن في إبطال افتراضاته وادعاءاته بسامية ثقافته، وأفضلية قِيَمه، والسمات الأولى التي ارتبطت به دون غيره؛ أي أن محاكاة الآخر "الدوني" للأنا الغربية السامية تعتبر نوعًا من التشابه وبذلك تكون وهمية الذاتية الغربية قد انتهت أو على الأقل أصبحت مركزاً للآخر المهمش. باختصار، هذا هو فضاء التهجين نفسه، وهو المكان الذي تحتوي فيه الهويات الثقافية دائما على آثار هويات آخر.[17] وبالمثل، يمكن وصف التناقض جنبا إلى جنب مع المحاكاة و التقليد لأنه أصبح يصف العلاقة المتناقضة بين الأنا و الآخر، وتتجسد هذه المحاكاة بوضوح في رواية "الفتاة المسلمة"، حيث تتظاهر إنايا دونالد بالديانة المسيحية في المدرسة العامة، وتحافظ

[15] نوح يامن، الهوية والدمج في خطاب منابر الإسلام في أمريكا: استعراض تاريخي ولقاءات ميدانية، (الرباط، مؤمنون بلا حدود، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث)، ص 9.

[16] بابا هومي، موقع الثقافة، ترجمة: ثائر ديب، (القاهرة، المشروع القومي للترجمة، 2004)، ص31.

[17] أشكروفت بيل، جاريث جريفيث، هيلين إيفين، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ترجمة: أحمد الروبي، أيمن حلمي، عاطف عثمان، (القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2010)، ص115.

على ديانتها الإسلامية خارجها لأجل الحصول على جائزة الطالب المتميز بعدما تبين لها عنصرية المديرة و إقرار الأخيرة بمنح الجائزة للطلاب المسيحيين فقط ظنا منها بأفضلية الطلاب المسيحيين واقتصار جدارة الاستحقاق عليهم. نزعة إنايا الدينية مكنتها من التعامل مع ثقافة المجتمع الأمريكي تعاملاً سطحيًا، وتحويلها لبدائل نسبية ومؤقتة لتتعايش مع قيم هويتها الدينية، وتتفاعل معها دون أن تُلغي إحداهما الأخرى، وبالتالي لم تعد المشكلة تتعلق بحتمية الانصهار أو الانعزال عن المجتمع الأمريكي، وإنّما أصبحت القضية تتعلق بضرورة تَبَنِي العيش في الفضاء الثالث لمواجهة هذه التحديات.

*** المناقشة والتحليل**

نُشرت رواية "الفتاة المسلمة" عام 2014 عن طريق دار النشر، ولاء التي تديرها الكاتبة نفسها أم زكية الواقعة في ماريلاند، أمريكا. تجسد أم زكية في هذه الرواية العلاقة بين الهوية والمكان، وبين الأنا والآخر، وبين الذات الأصلية والأخرى المقلدة، وتروي لنا أسباب وكيفية تحول المعتقدات الدينية إلى الشعور بالعار والحرج وسط المجتمع المسيحي، وتحول الإيمان إلى الشك، والرضا عن العادات والتقاليد الجوهرية إلى التمرد عليها. في هذه الرواية، تسلط أم زكية الضوء على التحديات التي يعيشها الشباب المسلمين في أميركا وما يترتب عليها من خلق أزمات الهوية الدينية وانشقاقها من خلال سرد تجربة بطلة القصة، الفتاة المسلمة الأميركية، إنايا دونالد. تضطر إنايا إلى خوض حياة مزدوجة بين ديانتين وثقافتين وفضائيين بعد انتقالها من المملكة العربية السعودية، أين أمضت إنايا طفولتها، إلى أمريكا المسيحية، مما يجعلها تشعر بالغربة، وشعور الاغتراب والحنين، والاختلاف، خاصة بعد تعرضها للتمييز العنصري والشعور بالدونية. بشكل عام، تجسد أم زكية انبهار الشباب المسلم بالثقافة الغربية، ومحاولة الاندماج عن طريق تقليد ومحاكاة الآخر، مما يتعذر لهم الانتماء لأي الثقافتين. فهي بهذا جسدت موضوعا يعد جوهر دراسات ما بعد الكولونيالية وآدابها: الهوية من خلال عرض طبيعة العلاقات القائمة بين الأنا والآخر، وإعادة النظر في قضية هوية المسلم في ضوء المتغيرات الحاصلة والعوامل الخارجية التي يمر بها انتقالًا من الشرق إلى الغرب. وهذه هي تجربة إنايا التي تغير نمط لباسها وحياتها، وتماطل في القيام بالفرائض الدينية كالصلاة، وتتظاهر بأنها مسيحية بعد انتقالها من المملكة العربية السعودية إلى أمريكا لتوضيح مدى تأثير الرحلة والشتات على الهوية من جهة، وتداعيات التحيزات العنصرية الدينية على التفاوض على الهوية من جهة أخرى.

تنطلق الرواية في سرد حياة إنايا دونالد ابنة الستّة عشر عامًا، التي تعود للأبوين المطلقين، فيرونيكا وكريس. ولدت إنايا في ولاية ماريلاند، أمريكا ولكنها ترعرعت ونشأت في الرياض، المملكة العربية السعودية. كانت في الثامنة من العمر حين انتقلت مع والدتها بعد اعتناق الأخيرة الإسلام إلى المملكة العربية السعودية، أين أمضت ثماني سنوات تعيش حياة إسلامية عميقة، وكسبت العديد من صور الثقافة السعودية. في المملكة العربية السعودية، عاشت إنايا حياتها اليومية كمسلمة من خلال دراسة القرآن، وتعلم اللغة العربية، والمحافظة على الصلاة في الوقت المحدد، والعيش على الطريقة

الإسلامية، بما في ذلك ارتداء الحجاب. وبسبب التزامها بالممارسات الدينية، أصبحت قدوةً لصديقاتها السعوديات خلال السنوات الثمانية التي عاشتها في الرياض، وجعلتهم فخورين بدينهم وخاصة تمجيد اللغة العربية، وهذه إشارة إلى قوة وعي إنايا وعمق إدراكها بهويتها كمسلمة، وتظهر هذه الصورة في الرسالة التي كتبها لها صديقاتها عند العودة إلى أمريكا: "ليس لدينا أي فكرة عما سنفعله بدونك. شكرا لتشجيعك لنا بالمحافظة على الصلاة.. شكرا لتعليمنا أن الإسلام دين عمل وأسلوب حياة، وليس دين كلام، شكرا لجعلنا ندرك قيمة اللغة العربية وتميزها عن الإنجليزية لكونها لغة القرآن".[18]

تصور أم زكية من خلال تجربة إنايا التحديات التي تواجه الشباب المسلم بسبب الرحلة من الشرق إلى الغرب أو العكس، أين تتداخل الثقافات والانتماءات، ويشعر الشباب بتعدد الانتماء والهوية، ويجدون أنفسهم ملزمين للمقاومة والتفاوض لأجل الحفاظ على جوهر الهوية وبين ضياع مكونات الهوية الخارجية أو الظاهرة بحثا عن العيش بسلام وتقبلهم في الوسط الغربي. تبدأ العقدة في القصة حين تقرر إنايا العودة إلى مسقط رأسها، أمريكا للقاء والدها وأصدقائها، و"عيش حياة طبيعية مرة أخرى".[19] وعلى الرغم من تواجدها ثمان سنوات في السعودية، حيث درست الإسلام وتعرفت على صديقات، إلا أن إنايا تعتبر العيش في السعودية غير طبيعي. أوّل ما عادت إنايا إلى أمريكا وجدت كلّ شيءٍ مختلفٍ. بدت لها ولاية ماريلاند غريبة لأنها تركتها وهي طفلة صغيرة، وهذا خلق لها جوًا من الارتباك والريب حول الدين ونمط الحياة والانتماء المكاني. عند العودة، بدأ شعور الانبهار من المكان: "الأطفال مرنون"، هذا ما كان يقوله والدي ربما لهذا السبب تعلمت اللغة العربية والقرآن واعتقدت أنّه من الرائع العيش في المملكة العربية السعودية. يا إلهي. هل فكرت حقا في ذلك؟"[20] لعلّ هذا الشعور المتناقض بين تميزها بين السعوديات وبين الحيرة من كونها مرنة في تعلم الدين يعود لكونها لم تختر الذهاب إلى المملكة العربية السعودية طوعا، ولكنها أجبرت على العيش بعيدا عن والدها المسيحي بعد طلاقه من فيرونيكا، ويتضح هذا من خلال عتاب شقيق الأخيرة الذي يلومها على الوضع التي تعيش فيه ابنتها: "أقسم، في كل مرة أرى فيها إنايا، أشعر بالأسف عليها. ليس لها هوية".[21]

كما تتجسد آثار الرحلة والعلاقة بين المكان والهوية، حيث ركزت الكاتبة في هذه الرواية على تمثيل التحديات التي تواجه الطلاب المسلمين في المدارس العامة المسيحية بسبب معتقداتهم الإسلامية، حيث تروي المواقف العنصرية والصور النمطية المختلفة التي يتعرض لها الطلاب بسبب الدين الإسلامي "الآخر" المختلف عن

[18] أم زكية، الفتاة المسلمة، (ماريلاند: دار الولاء للنشر، 2014 م)، ص 7.
[19] المرجع السابق، ص 8.
[20] المرجع السابق، ص 9.
[21] المرجع السابق، ص 143.

المسيحية. هكذا تصور لنا الكاتبة بطلة القصة، حيث تبدأ أزمة الهوية لدى إنايا حين تلتحق بالمدرسة العامة المسيحية، أين تواجه بعض الأحكام المسبقة، ونظرة الانتقاص بسبب العباءة السوداء التي لا تتماشى ولباس الموضة، وأساليب التهميش والدونية بالحكم عليها كأنها "الجثة السوداء". [22] كما أشرنا مسبقا، تعتبر إنايا الفتاة المسلمة المحافظة التي تلتزم بتعاليم الدين وتقوم بفرائضها في وقتها في السعودية. على سبيل المثال، في اليوم الأول من الانتقال إلى المدرسة، تظهر إنايا في عباءتها السوداء وحجابها، وتُظهر اللهجة العربية في كلامها، وتحافظ على معتقداتها الدينية، فعندما تلتقي سفير الطلاب المسيحيين، ريمون، تتحفظ على مصافحته باتباع التعاليم الإسلامية، "استغرق الأمر لحظة حتى أدركت أنّه كان ينتظرها لمصافحته. احمرت وجنتيها، وضرب قلبها بشدة في صدرها. "أنا إنايا"، قالت وقد دسّت يدها في جيوب جلبابها وابتسمت له".[23] ومع ذلك، فإن أسلوب الحياة في المدرسة العامة، بما في ذلك الأزياء والمفاهيم الخاطئة تجاه الحجاب تدفع بإنايا إلى الشعور بالاغتراب بسبب مواقف الآخرين تجاه اختلافها. بدأت إنايا تتحسس من اعتقاد ريمون أنها عربية: ‘‘حسنا، ظننت أنّك عربية"، ترفع إنايا جبهتها، غير قادرة على إخفاء تعجبها. "عربية؟" ثم قالت: "أنا أمريكية، لكن عائلتي عادت للتو من المملكة العربية السعودية".

"هل تتحدث العربية؟"

"قليلا".

"ربما من هنا تأتي اللهجة".[24]

إنايا التي أقنعت الصديقات السعوديات بقيمة اللغة العربية، وتعلمتها بكل فخر في السعودية، تخفي حقيقة اتقانها لها، وتخبر ريمون أنها تتكلمها قليلا. ساهمت ردة فعل ريمون وحكمه في اعتبار إنايا عربية في خلق هاجس الخوف لدى إنايا. هنا تبدأ إنايا في إعادة النظر في لهجتها وأسلوب حياتها، أي أنها تبدأ بالتفاوض لأجل التأقلم والتماشي مع ثقافة وعادات المدرسة من جهة، ولتتشبه جزئيا بزملائها من جهة أخرى.

بالإضافة إلى اللغة، تصور لنا أم زكية من خلال تجربة إنايا، الرغبة المتناقضة في ارتداء الحجاب بين الفتيات المسلمات في أميركا كوسيلة للتفاوض على هويتهن لتجنب الحكم العنصري. بدأت إنايا في الشعور بالخجل من حجابها لكونها الوحيدة التي ترتديه في المدرسة بعد أن كانت تعتبره أحد مكونات هويتها الأساسية في السعودية. اعتبرت إنايا الحجاب، بالإضافة إلى اللهجة العربية في كلامها، السبب في تصنيفها عربية بدل الأمريكية من طرف ريمون. في اليوم الثاني في المدرسة، تبدأ إنايا الشعور بالحرج من زيها الإسلامي، "أصبحت فجأة واعية ذاتيا للخمار الأسود الذي تلف حول شعرها والعباءة السوداء الواسعة التي كانت تبدو

[22] المرجع السابق، ص 12.

[23] المرجع السابق، ص 18.

[24] المرجع السابق، ص 21

بالتأكيد وكأنها فستان غجي كبير الحجم".[25] لاحظت إنايا أن كل الطالبات من حولها لا يلبسن الحجاب ويرتدين ملابسا عصرية وخاصة صديقة ريمون، ليريكا. كذلك حكم كايلا، إحدى الطالبات، التي اعتبرت إنايا "جثة سوداء" دفع بالأخيرة إلى التفكير مليا في العباءة السوداء. "لماذا كان عليها أن تبدو مثل الجثة؟ ما هو الخطأ في ارتداء الألوان الزاهية والسراويل الفضفاضة؟".[26]

تصور أم زكية أثر الرحلة والمكان والمحيط على هوية إنايا وبداية انشقاق انتماءها الثقافي والديني، حيث يتغير أسلوبها تدريجيا. أولا، تباشر ارتداء الحجاب الملون بدلَ الأسود. وكما هو مكتوب في النص، "في اليوم الأول من المدرسة، تتخلى إنايا عن جلبابها الأسود، وترتدي الخمار الأبيض اللامع".[27] ثم تبدأ في تقليد الفتيات المسلمات الأمريكيات الأخريات اللواتي لا يرتدين الحجاب، بمن فيهن المسلمة الأمريكية الباكستانية نصرة، معتقدة أن الأخيرة لها وضع متساو مع زملائها المسيحيين الآخرين بسبب أسلوب حياتها، قائلة: "تتحدث نصرة إلى زملائها كما لو كانت متساوية معهم، لأنها لا ترتدي قطعة قماش متدلية حول رقبتها وقميصا كبير الحجم معلقًا على ركبتي سروالها الجينز الفضفاض".[28] وعلى عكس الرياض، أين كانت تشعر إنايا بالفخر بالحجاب، أصبح في المدرسة العامة في ولاية ماريلاند رمزًا للعار و الخجل و التخلف، لتقرر أخيرًا خلعه وارتداء ملابس عصرية مثل الطلاب الآخرين.

وهنا تبدأ ازدواجية إنايا، حيث ترتدي الحجاب في البيت والمدرسة الإسلامية وتخلعه فور الوصول إلى المدرسة. كذلك الشعور يتأزم ويتشظى، فهي ليست راضية تماما عن قرارها وشعور الندم والأسف يحضرها من وقت لآخر، على الرغم من ارتداء الفساتين العصرية إلاّ أنّها ما تزال تشعر بقوة الانتماء إلى دينها، تلوم نفسها على خلع الحجاب وترغب في ارتدائه مرة أخرى. هنا يبدأ شعور الغرائبية، حيث تظل بين شعورين، شعور بالندم معبرةً عن وعيها بأهمية الحجاب من ناحية، وشعور بالتأقلم في المدرسة المسيحية من ناحية أخرى، وهذا ما يُظهر لنا الشعور المزدوج المعبر عن الهوية الهجينة.

لم يتوقف أمر التغيير عند اللهجة والحجاب فحسب، بل بلغ المعتقدات لأجل التكيف مع أسلوب الحياة الثقافي للشباب الأمريكي، ورغبة في التقّرب من ريمون. على سبيل المثال، رفضت في البداية مصافحة ريمون اتباعا لتعاليم الدين الإسلامي، لكنها الآن تشعر بجرأة أكبر لمصافحته، في محاولة لإظهار انفتاحها: "أخذتها المقدمة الرسمية على حين غرة، وازداد وجهها

[25] المرجع السابق، ص 22.

[26] المرجع السابق، ص 32.

[27] المرجع السابق، ص 34.

[28] المرجع السابق، ص 34.

خجلا عندما لمست يده".[29] موقف إنايا يرصده الكاتب تيجل سونييه (2010) في وصفه للبنت المسلمة التي تحاكي وتقلد الطالبات المسيحيات في المدارس العامة، "أن الفتاة المسلمة التي ترتدي الحجاب وتؤدي الواجبات الدينية، بينما ترتدي في الوقت نفسه الجينز، وتلتحق بالجامعة، وتصافح الذكور، ينظر إليها على أنها هجين انتقالي".[30]

أصبحت إنايا تعيش بين حياتين كفتاة مزدوجة الهوية: "فتاة طبيعية" في المدرسة و"فتاة مسلمة" في المنزل، وعلى الرغم من تقليد الطلاب المسيحيين في المدرسة، إلاّ أنّها تعود إلى المنزل مرتدية الحجاب، وتؤدي صلواتها أمام والدتها يوميا. تعمل أيضا كمعلمة للقرآن في مدرسة إسلامية في ولاية ماريلاند، حيث "تظهر في الزي السعودي الإسلامي". يتم اختيارها كأفضل معلمة قرآن في المدرسة الإسلامية. تقبل الجائزة، إلا أنها تعتقد أنها لا تستحقها بسبب الحياة المزدوجة "بطريقة ما فقدت إنايا القوة للوقوف على الساقين المهتزتين. توجهت بحذر لقبول جائزة كانت تعرف أنها لا تستحقها".[31] يعكس موقف إنايا قوة الإدراك بأهمية انتماءها الديني، ووعيها الحاضر في المدرسة الإسلامية، والغائب في المدرسة المسيحية. مع أنها تستوعب جيدا أنّ المساس بالهوية الدينية ليس الحل الصحيح إلا أنّها تتفاوض وتتخلى عن بعض سماتها وخصائصها محاولة التأقلم في بين المكانين. وهذا التناقض يعكس، في الحقيقة، قوة تأثير المكان والمجتمع المحيط والثقافة على الهوية الإسلامية. في المدرسة العامة، لا تولي إنايا اهتماما لخلعها الحجاب، ولكن في المدرسة الإسلامية، تدرك، كمعلمة قرآن، أخطاءها وتشعر بعدم الرضا عن ازدواجيتها، كما أنّ تبني المظهرين أثر على نفسيتها، تشعر كما لو أنها منافقة مع والدتها ووالدها وزوج أمها الذين يعتبرونها نموذجا للشباب المسلم الأميركي. كما تشعر أنها منافقة مع صديقتيها السعوديتين، رأفا وبتول، اللتين يعتبرانها المثال الأعلى وفي هذا السياق، تتذكر كلماتها لصديقتها باتول، "المسلمون في أميركا أقوياء. إنهم يغطون ويصلون ويصومون، ولا يهتمون بما يعتقده الناس عنهم".[32] يُفَسّر هذا الوعي المزدوج لدى إنايا بقوة أثر المكان وثقافته على الفرد والجماعة. وقد أكدت لنا أم زكية خلال حوارنا المجرى معها أن "النساء المسلمات، وخاصة المحجبات، يشعرن بالضغط بسبب البيئة الغربية التي يعشن فيها".[33] وهكذا، في "لفتاة المسلمة"، تربط أم

[29] المرجع السابق، ص 53.

[30] تيجل، أساليب الممارسة الدينية: "ثقافات الشباب المسلم في أوروبا"، في مسلمو الشتات في الغرب: التفاوض حول الجنس والوطن والانتماء، تحرير: هايدي مغيسي، هالة غوراشي، (إنجلترا، آشغيت، 2010)، ص 128.

[31] أم زكية، الفتاة المسلمة، ص 88.

[32] المرجع السابق، ص 74.

[33] بريوة نضيرة، محمد عبد القيوم، "أم زكية في مقابلة"، مجلة كتاب وحوارات، (العدد 12(2)، 2018)، ص 1-5.

زكية بين هوية إنايا كفتاة مسلمة، والتزامها بديانتها وممارستها للفرائض الدينية بطريقة المجتمع والبلد الإسلامي، المملكة العربية السعودية، في حين تصورها لنا بعد الانتقال إلى أمريكا في هيئة أخرى.

بالإضافة إلى رصد أم زكية لتداعيات المكان وحكم الآخرين على ازدواجية المظهر والمشاعر المتناقضة وتغيير بعض المعتقدات لدى إنايا، تنقل أم زكية أيضا الشعور بالغرائبية من المكان والزمان والحنين إلى الماضي، حيث تعود ذاكرة إنايا إلى السعودية. في المدرسة الإسلامية في ولاية ماريلاند كمعلمة قرآن مرتدية الحجاب، تتخيل إنايا نفسها في المملكة العربية السعودية: "في المدرسة الإسلامية، للحظة، نسيت إنايا أنها كانت في المدرسة الإسلامية التي كانت على بعد أربعين دقيقة بالسيارة من شقة عائلتها. شعرت أنها في المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت".[34] تحن إنايا إلى العيش في المملكة العربية السعودية، أين اعتادت على ممارسة حياتها كمسلمة دون النظر إلى مواقف الآخرين تجاهها: "كانت تتمنى لو أن عائلتها لم تغادر المملكة العربية السعودية قط. لم تتصور أبدا أنها ستصبح ضعيفة جدا، وبسرعة. في الرياض، كانت تؤدي الصلاة الطوعية كل ليلة، وكانت تتصور أنها لن تترك الصلاة أبدا. لكن الآن بالكاد يمكنها حشد القوة للوضوء أمام دفء سريرها".[35] الحنين إلى المكان المختلف الذي يتواجد به الجسد يعبر عن الشعور بالانتماء إلى المكان الحالي. وتعكس حالة إنايا تعبير سلمان رشدي في "الأوطان التخيّلية"، أنّ الذاكرة تعود بنا إلى مكان مختلف عن الحاضر، مكان آخر يعود بنا إلى الماضي حيث نسترجع استقرار الروح ونهرب من غرائبية المكان الحالي.[36] تعيش إنايا شعور الانتماء لمكان الحاضر وتعود بالذاكرة إلى مكان الماضي أين كانت تعيش بحرية دون التفكير في المحيط واختلافاته والمحيطين بها، وهذا يعكس عدم شعورها بالاستقرار الذاتي. مع الوقت ينتج هذا التشرذم نوعا من الألم والحزن والخسارة والاغتراب، وهذا ما تعيشه إنايا مع انتماءها الديني، حيث تبرز الرواية ثنائية الهوية وتناقض الشعور حول الانتماء الديني، تتكاسل إنايا عن الصلاة لكنها تشعر بتأنيب الضمير في نفس الوقت، وتنزع الحجاب في المدرسة، لكنها تعتبره معصية، وتطلب من الله المغفرة وتتمنى لو بقيت في الرياض. وبهذا تعرض الرواية نموذجا متناقضاً في السلوك يمثل الأزمات والتحديات التي تواجه المسلم في المجتمع الأمريكي مسببة انشقاق الهوية الدينية وتأزمها.

تنتقل الرواية إلى تهميش المسلم في المجتمع الأمريكي بسبب اختلاف معتقداته الدينية، حيث تصور لنا هذا التحيز من خلال معايشة التمييز العنصري الذي

[34] أم زكية، الفتاة المسلمة، ص 86.

[35] المصدر السابق، ص 93.

[36] ينظر رشدي سلمان، أوطان تخيلية: مقالات ونقد 1881=1991، (نيويورك، دار بنجوين للنشر، 1992)، ص 12.

واجهته إنايا في المدرسة العامة المسيحية كطالبة مسلمة، حيث جسدت الرواية هذا التحدي في شخصية مديرة المدرسة، السيدة فورد، المسيحية المتعصبة لدينها، التي تهمّش الطلاب الذين ينتمون إلى الديانات الأخرى، وتؤمن أنّ الطلاب ذوي المعتقدات الإسلامية و غيرها أقل شأناً من الطلاب المسيحيين، وتتجلى هذه النظرة الفوقية للسيدة فورد في حرصها على منح جائزة الطالب المتميز للمسيحيين دون غيرهم، لاعتقادها أنهم وحدهم من يستحقون الرتبة الأولى كونهم الفئة السامية المتفوقة، وتعتقد السيدة فورد أنّ الطلاب المسيحيون البيض هم "القادة" و"الأفضل" و"الوحيدون" المؤهلون لتمثيل مدرستها والفوز بجائزة الطلاب المتميزين، في حين أنّ "الآخرين" من خلفيات دينية مختلفة مثل الملحدين والوثنيين والمسلمين لا يستحقون الجائزة. تعكس نظرة فورد، في هذه الحالة، النظرة الاستشراقية المبنية على الثنائية التي تجعل من الأنا الغربية "الأول" السامي، في حين يُعتبر المختلف "الآخر" التابع الدوني الأقل أهمية وقيمة. أحدث هذا الموقف تغييرا جذرياً في موقف إنايا، حيث شجعها على السعي لإثبات للسيدة فورد أن المسلمين، مثل المسيحيين، جديرون بالتفوق، ودفع بها للمقاومة والمفاوضة على هويتها لأجل اقتحام حيز دائرة الأنا المسيحي من خلال العيش في الفضاء الثالث. صحيح أنّ رغبة إنايا في تقليد نمط حياة الطلاب المسيحيين ومحاكاتهم ساهمت في ازدواجية هويتها من ناحية، لكن هذه الازدواجية سرعان ما مكنتها من الانتقال من الهامش إلى المركز وكسب ثقة مديرة المدرسة. استغلت إنايا لقب والدها، دونالد على بطاقة هويتها، وتظاهرت أنّها مسيحية أمام السيدة فورد. معلومات إنايا حول الديانة المسيحية ومشاركتها لنظرة السيدة فورد زعماً جعلها تكسب إعجاب الأخيرة في وقت قصيرٍ، حيث تظاهرت إنايا بأنها مسيحية متعصبة لديانتها، مثل السيدة فورد، مؤمنة بسامية وأفضلية الطالب المسيحي على الآخر المسلم. لكن في الحقيقة "كان لدى إنايا أهداف أعلى لنفسها. نعم، كان الأمر متعبا وهي ترتدي وجها في المدرسة وآخرا في المترل وآخرا في قلبها، لكنها تريد المرتبة الأولى".[37] هذا الدور الثنائي مكّن إنايا من لعب دور الطالب المسيحي الجدير بالفوز، كما تعتقد السيدة فورد، ونالت لقب الطالب المتميز والحصول على المنحة الدراسية المخصصة للطلاب المسيحيين دون غيرهم. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى ما قاله ويليام سوان وجنيفر ك. بوسون (2008) عن التفاوض بشأن الهوية: "يلعب التفاوض بشأن الهوية دورا بالغ الأهمية في علاقات الشعوب/ علاقة الأنا بالآخر، يجعلها قابلة للتنبؤ بها ويمكن التحكم فيها، مما

[37] المصدر السابق، ص 104.

يسمح بدوره للآخر بتلبية احتياجاته وتحقيق أهدافهم".[38]

ومن المثير للاهتمام، على عكس بعض التحديات التي تجعل الشباب المقيم في الغرب ينصهرون تماما في المجتمعات والثقافات الغربية من خلال المحاكاة الكليّ، والتقليد الأعمى للآخر المختلف لتحقيق أهدافهم الشخصية، فإنّ تفاوضَ إنايا على الهوية وعيشها في الفضاء الثالث ساعدها بطريقة إيجابية كطالبة مسلمة في مدرسة عامة أمريكية لتحقيق نجاحها. فقد اتبعت التقليد الجزئي، لا الكلي، مع الحفاظ وعياً واستيعاباً. ويمكن وصف هذا الشعور الواعي بجوهر الهوية ب ‘‘الوعي المزدوج " كما أشار له دو بويز.[39] على الرغم من أنّ إنايا تعيش في فضاء ثالث، أين تعيش الشعور المتناقض والهوية الهجينة، إلا أنّها لا تزال سعيدة باقتحام مركز المدرسة بدلاً من أن تكون ضحيةً مهمّشةً نتيجة التمييز العنصري الذي تعرضت له من طرف السيدة فورد، وفي هذا السياق، تكتب أم زكية: "هناك بعض الأشياء التي يجب أن تتعايش معها. عليك أن تتعلم كيف تعيش مع اختلافات وعيوب الناس. هناك معركة واحدة تستحق القتال في كلّ مرّة، وهي تلك التي ضد اختلافاتك الخاصة".[40] وصف جيمس جونز وجون دو فيديو وديبورا فيتزي (2014) هذا النوع من المقاومة من طرف الشباب المسلمين في المجتمعات الغربية لأجل الحفاظ على اختلافاتهم وهويتهم كاتبين: "الشباب الذين لديهم هوية هم الأكثر رضا عن حياتهم، ولديهم احترام كبير للذات، و لم يظهروا سوى القليل من الأدلة على حالات نفسية سلبية مثل الاكتئاب أو القلق. أولئك الذين انصهروا هم الأسوأ. أما الأشخاص الذين لديهم هوية ازدواجية فقد وقعوا فيما بين الانتمائيين".[41]

وعلى الرغم من أنّ إنايا مسلمة، إلا أنّها أتبتث للسيدة فورد أنّ معايير الجائزة لا ينبغي أن تستند إلى "اللون أو العرق أو الأصل القومي أو الجنس أو

---

[38]ويليام سوان، جنيفر ك. بوسون، التفاوض على الهوية: نظرية التفاعل الذاتي والاجتماعي" في دليل الشخصية: النظرية والبحث، تحرير: أوليفر جون، ريتشارد روبنز، لورانس بيرفين، ط3، (نيويورك، جيلفورد برس، 2008)، ص 466.

[39]ظهر المصطلح لأول مرة في مقال لدو بويز بعنوان «مساعي الشعب الزنجي»، الذي نُشر في عدد أغسطس 1897 من مجلة أتلانتيك. أُعيد نشره وتحريره لاحقًا تحت عنوان «مساعينا الروحية» في كتابه أرواح الشعب الأسود: 1903.

[40]أم زكية، الفتاة المسلمة، ص 165.

[41]جيمس جونز، جون دو فيديو، ديبورا فيتزي، سيكولوجية التنوع: ما وراء الحكم المسبق والعنصرية، (أكسفورد: بلاك ويل للنشر، 2014)، ص 213.

الدين".[42] في نهاية القصة، تعتلي إنايا المسرح بفخر مرتدية الحجاب، كاشفة عن هويتها الحقيقية قائلة: "في بعض الأحيان، سوف تشعر بالارتباك والضعف. ولكنّ الأهم من ذلك هو أنهّ مهما كانت الحياة صعبة، لا شيء يجب أن يجعلك تفقد الثقة تماما".[43] وفي هذا السياق يعبر موقف إنايا عن قوة الخطاب و تحدي مواقف الآخر لإثبات الذات، بحيث أنّ "الآخر لا يفقد قدرته على الدلالة والنفي، والشروع في مقاومته التاريخية، وإقامة خطابه المؤسسي والُمعارض الخاص به".[44] وانطلاقا من وصف هومي بابا للفضاء الثالث على أنّه مكان انطلاق مقاومة الذات لإثبات وجودها مع الآخر، وتفكيك وهم مركزية وسامية الأخير فإنّ حياة إنايا ما بين الديانتين، وهويتها الهجينة علامة على التحدي والمقاومة لنظام السيدة فورد التعليمي وليست نقطة ضعف. ظهور إنايا مرتدية حجابها للدلالة على هويتها الإسلامية، وهي تتسلم جائزة الطالب المتميز صدم السيدة فورد ليجعل منها في موقف ضعيف مقابل قوّة وذكاء إنايا، وتسترجع الأخيرة مقولة السيدة فورد الشهيرة "ثم يمكن لهؤلاء النّاس أن يروا بأنفسهم من هو المتفوق حقا".[45] أرادت السيدة فورد إظهار تفوق الطالب المسيحي لبقية الطلاب من ديانات أخرى، لكن إنايا أثبتت للسيدة فورد أنّ التفوق سمة لا تقتصر على المسيحي وحده، ولكن يمكن للطالب المسلم أن يكون الأوّل كذلك. في الواقع، واجهت إنايا وضعا صعبا، حيث وجدت نفسها عالقة بين عالمين، ومع ذلك، فإنّ الفضاء الثالث، أو بعبارة أخرى موقفها الانشقاقي المزدوج مكنها بشكل مثير للاهتمام من تحقيق نتيجة إيجابية لنفسها في المدرسة المسيحية. لأنّ "بقاء هويات النّاس لا يقع على أيديهم فحسب، بل في أيدي الآخرين".[46] التظاهر بالمسيحية وتفاوض إنايا بالهوية لعبا دورا هامًا في تفكيك مركزية وسامية المسيحي، حيث أنّ المحاكاة هنا مكّن إنايا من تحقيق ما يمكن للطالب المسيحي تحقيقه، مما يكسر قاعدة الأنا المسيحي الأفضل والمسلم الآخر الضعيف، وهكذا تتمكن إنايا من قلب الأدوار وتفكيك المركزية الخاصة بالطالب المسيحي.

*** النتائج والاستنتاجات**

أولا: النتائج

١- ساهم كل من المكان وشعور الغرائبية، والانبهار بثقافة الآخر والرغبة في محاكاته، والتهميش العنصري في ازدواجية وتشظي هوية البطلة في النص الروائي المختار.

٢- تجلت صور ازدواجية الهوية في كل من المظهر، والشعور، والانتماء في الفضاء الثالث، أين حاولت البطلة معايشة المتناقضات، فلم تنصهر في المجتمع الغربي بصفة كاملة و لم تحافظ على جوهر هويتها خالصاً، لكن

[42]أم زكية، الفتاة المسلمة، ص 102.

[43]المصدر نفسه، ص 174.

[44]بابا هومي، موقع الثقافة، ص31.

[45]أم زكية، الفتاة المسلمة، ص 157.

[46]ويليام سوان، جنيفر بوسون، التفاوض على الهوية، ص 488.

أضافت هوية أخرى لتكوّن بذلك فضائها الهوايتي الثنائي، وتبرز هذه الصور في:-

أ- المظهر: لبس الحجاب متوجهةً إلى البيت وفي المدرسة الإسلامية، في حين نزعه في المدرسة المسيحية.

ب- الشعور: الرغبة في تقليد ومحاكاة الآخر، وفي نفس الوقت الشعور بالذنب (نزع الحجاب لازمه الشعور بالندم، وتأخير الصلاة لازمه الشعور بالتقصير، وأخذ جائزة أفضل مدرسة للقرآن لازمه الشعور بالنفاق وعدم الاستحقاق).

ج- الانتماء: المسلمة في صورة المسيحية تظاهراً أمام السيدة فورد.

٣- الفضاء الثالث والتظاهر بالدين المسيحي مكّن البطلة من النجاح والفوز بالجائزة الأولى، وهنا تكسر قاعدة النظرة الغربية الاستشراقية الوهمية في أفضلية الغربي/المسيحي وتبعية الآخر/المسلم، وتنقلب القاعدة ليصبح الآخر الدوني في المقدمة ملغية بذلك انقسامات الثنائيات المبنية على الأفضلية والتبعية.

ثانيا- الاستنتاجات

١- هوية المسلم في المجتمع الغربي متغيرة وغير مستقرة نتيجة عوامل وتحديات أبرزها: ثقافة المكان، والانبهار بثقافة الآخر، والشعور بالتهميش والدونية، ممّا يولد الرغبة في تقليد ومحاكاة الآخر محاولة لاقتحام المركز مقاومة لهذه التحديات من جهة، وبحثا عن تحقيق أهداف العيش الكريم والاستقرار من جهة أخرى.

٢- لا يمكن للآخر المهمش اقتحام المركز بصفة كلية، لكن تظل المحاكاة والتقليد بصفة جزئية مما يشكل لديه الانتماء الثنائي أو ما يعرف بالفضاء الثالث، أين قاومت البطلة المسلمة للحفاظ على جوهر الهوية واكتساب بعض مظاهر وأساليب وحياة الآخر الغربي.

٣- المحاكاة والتقليد في الفضاء الثالث مكّن البطلة من النجاح والفوز بالجائزة الأولى، مما جعلها تحقق ما يمكن تحقيقه من طرف الطالب المسيحي الأمريكي السامي، وهذا الغاء لمعتقدات السيدة فورد التي تتمثل في أفضلية الطالب المسيحي.

*** الخاتمة**

خلاصة، تطرح الرواية صراع الهوية لدى الشخصية الرئيسية التي تأرجحت بين التباث على بعض مكوناتها والتغير في بعضها الآخر. استطاعت أم زكية من خلال رواية "الفتاة المسلمة" أن تلقي الضوء على صور وتداعيات ازدواجية الهوية الدينية. عبّرت الشخصية الرئيسية في النص الروائي عن أزمة الهوية وانشقاقها بسبب العوامل الخارجية وهي، استنادا على التحليل والنتائج، الرحلة والانتقال من مجتمع إسلامي له ثقافته وعاداته وتقاليده، السعودية إلى مكان آخر مختلف تماماً عن الأوّل، أمريكا المسيحية. التروح من الرياض إلى ماريلاند سبّب لها أزمات وانشقاقات في الانتماء الثقافي وخاصة الديني ممّا نتج عنه ثنائية الأسلوب والمظهر، والشعور بالاغتراب والحنين. أما العامل الثاني فيتمثل في محاكاة الآخر الغربي المتحضر، سواء هروباً من الأحكام المسبقة، أو انبهاراً ورغبةً في ملإ الفجوة بين نمط حياة إنايا مقارنة بزملائها الذين يتميزون بالزي والمظهر الخارجي المتحضر والمواكب للعصر مقابل العباءة البسيطة والحجاب الأسود. ورأينا كيف تخلّت إنايا عن

عباءتها وحجابها لأجل مواكبة ثقافة الزملاء وكسب قلب ريمون. أمّا العامل الثالث فتمثل في التهميش العنصري الذي واجهته إنايا بسبب التمييز الديني التي تمارسه مديرة المدرسة.

كما عرضت الرواية صراع الذات في مواجهة هذه التحديات وأثر الأخيرة على جوهر هوية البطلة. حيث نجحت البطلة في تحقيق أهدافها والفوز ضد التمييز العنصري ومحاكاة الآخرين، لكنها في المقابل، تعرضت هويتها لانشقاقات وأزمات، مما أنتج خلخلة في الذات الإسلامية؛ ما أدى إلى ازدواجية الهوية الدينية. وتتجلى صور ازدواجية الهوية في الفضاء الثالث، أين حاولت البطلة معايشة المتناقضات، فلم تضحي بمعتقداتها تماماً، و لم تحافظ على جوهرها خالصةً، وتبرز هذه الصور في: قيام الصلاة لكن بكسل وثقل، لبس الحجاب في البيت والمدرسة الإسلامية والتخلي عنه في المدرسة المسيحية، التظاهر بالمسيحية أمام السيدة فورد في حين الظهور كمسلمة أمام الآخرين.

توصلت هذه الدراسة، من خلال تجربة بطلة رواية "الفتاة المسلمة" لأم زكية، إلى أنّ هوية المسلم في المجتمع الأمريكي غير تابثة وتتأثر بعدة عوامل خارجية كتداعيات المكان والثقافة والانبهار والهروب من التمييز العنصري، فيبدأ في التغيير تدريجيا مفاوضاً على معتقداته وثقافته إما مُحيّراً تقليداَ ومحاكاةً للآخر لأجل الاندماج في المحيط. وأحيانا يضطر للتضحية مجبرا إما لتجنب التمييز العنصري والنظرة الدونية، حيث يسعى وراء تحقيق أهدافه. فقد اضطرت بطلة الرواية لتقبل الآخر المختلف إلى جانب الذات مقاومةً ومساومةً لأجل الانتقال من الهامش الصامت إلى المركز حيث استطاعت إيصال صوتها. لذلك اتصفت البطلة بالازدواجية، والتناقض في المواقف، وشعور الغرائبية من المكان والزمان، ومع ذلك، فقد تمكّنت من إثبات وجودها، ونجحت في تفكيك مركزية الأنا المسيحية، حيث أنّ تقليد "الآخر" والعيش في الفضاء الثالث مكّنها من النجاح والفوز بالجائزة الأولى، وهنا تُكسر القاعدة الغربية الاستشراقية التي تتوهم أفضلية الغربي/المسيحي مقابل تبعية الآخر/المسلم، وتنقلب القاعدة ليصبح الآخر التابع في المقدمة ملغية بذلك انقسامات الثنائيات المبنية على الأفضلية والتبعية، ومفككة المركزية المسيحية الغربية.

*** المراجع**

أولاً– المراجع العربية

أشكروفت بيل، جاريث جريفيث، هيلين إيفين: (2007)، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ترجمة: أحمد الروبي، أيمن حلمي، عاطف عثمان، 2010.

سعيد ادوارد: (1998)، الاستشراق، ترجمة: محمد عناني، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2006.

سميرة حداد: (2020)، تجاذبات الهوية النسوية بين المركز والهامش: التحليل الثقافي لروايتي (تاء الخجل) و(اكتشاف الشهوة) لفضيلة الفاروق نموذجا، مجلة إشكالات في اللغة العربية، المجلد 9، عدد 3.

عبد الله إبراهيم: (1997)، المطابقة والاختلاف: المركزية الغربية وإشكالية التكون والتمركز حول الذات، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

غادة جمال مكي: (2018)، أزمة الهوية في رواية أصفاد من ورق ليوسف هداي ميس، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد 93، عدد 3.

محمد بوعزة: (2018)، تشكل الهوية في ظل المواجهة الكولونيالية، مجلة تبين، المجلد 26، عدد 7.

هومي بابا: (1990)، موقع الثقافة، ترجمة: ثائر ديب، القاهرة، المشروع القومي للترجمة، 2004.

ثانياً– المراجع الأجنبية

Bosson, J. K., & Swann, W. B. (2008). Identity negotiation: A Theory of self and social interaction. In O. P. John, R. W. Robins & L. A. Pervin (Eds.), *Handbook of personality: Theory and research (3rd Ed.*). (pp. 448-471*)*. New York, NY: Guilford Press.

Brioua, N., & Quayum, M. A. (2018a). Interview with Umm Zakiyyah. *Writers in Conversation,* 5(2), 1-5.

Davies, D., & Newns, L. (2015), Postcolonialism and or feminism. Journal of *Postcolonial Writing*, 15, 1-30.

Dokic, N. S. (2001). *Redefining cultural identities: Southeastern Europe*. Croatia: Institute for International Relations.

Dovidio, J. f., Vietze, D. L., & Jones, J. M. (2014). *The psychology of diversity: Beyond prejudge and racism*. Oxford: Wiley Blackwell.

Schwartz, S. L., Luyckx, K., & Vignoles, V. L. (2011). *Handbook of identity theory and research.* New York, NY: Springer.

Ghorashi, H., & Moghissi, H. (2010). *Muslim diaspora in the west: Negotiating gender, home and belonging*. England: Ashgate Publishing.

Hall, S. (1990). Cultural identity and diaspora. *Framework*, 36, 222-237.

Rushdie, S. (1992). *Imaginary homelands: Essays and criticism 1991-1991*. New York, NY: Penguin Books.

Sayyid, B. S. (1997). *A Fundamental fear: Eurocentrism and the emergence of Islamism.* New York, NY*:* Zed Books Ltd.

Schwartz, S. L., Luyckx, K., & Vignoles, V. L. (2011). *Handbook of identity theory and research.* New York, NY: Springer.

Sunier, T. (2010). Styles of religious practice: Muslim youth cultures in Europe. In H. Moghissi & G. Halleh (Eds), *Muslim Diaspora in the West: Negotiating Gender, Home and Belonging*. (pp. 126-138), England: Ashgate.

Yamen, N. (n.d.). *Identity and integration in the discourse of the*

platforms of Islam in America: A historical review and interviews. Rabat: Mouminoun without Borders for studies and researches. Retrieved from: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث (mominoun.com)

Zakiyyah, U. (2014). *Muslim girl*. Maryland, USA: Al-Walaa Publication.